

آداب التعامل مع القرآن الكريم



▪ إنَّ مِنْ لَطْفِهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ بِالْمُسْلِمِينَ أَنْ عَرَّفَهُمْ كَيْفَ يَتَعَاوَلُونَ مَعَ كِتَابِهِمُ الْأَوَّلِ، فَلَقَدْ وَرَدَتْ عَدَّةٌ آيَاتٌ تَحْذِّرُنَا عَنِ ذَلِكَ، مِنْهَا:

1- التدبّر: وذلك هو قوله تعالى: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْغَالَهَا﴾** (محمد / 24).

قلوب مغلقة.. مثل بيوت أو دكاكين أو صناديق مغلقة.. أبواب موصدة، ونوافذ مغلقة، وستائر مسدلة.. هل يمكن أن يدخل نور أو هواء أو أي شيء آخر؟

إنَّ الْقُلُوبَ الْمَقْفُلَةَ الَّتِي لَا تَسْتَقِبِلُ شَعَاعَهُ مِنْ نُورٍ، وَلَا نَسْمَةَ مِنْ هَوَاءٍ، هِيَ أَشَبَّهُ بِقَبْرٍ تَسْكُنُهُ الْوَحْشَةُ وَالْدِيدَانُ.

والقلب الذي لا يدخله نور القرآن ولا تحرّكه نسائم القرآن، قلب فسد الهواء في داخله وغمّرته العتمة حتّى عاد كالخربة أو المكان المهجور. ولا يتسلل نور القرآن إلا إلى أذن وعت القرآن وقلب تدبّر القرآن، ونفس كالوادي العميق استقبلت أمطار القرآن.

2- التذكّر: وذلك قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلَّذِّي كَرِهَ فَهُلْ مِنْ مُّدَّكِر﴾** (القمر / 17).

فالقرآن واضح بـ^{يَسِّرْنَا} وسهل الفهم، في قصصه وعبره ومفاهيمه وتعاليمه. فكلَّ ما فيه تعليمات ربّانية للخروج من دائرة الغفلة واللاّ مبالغة إلى رحاب الوعي والتذكّر والحقيقة.

وإنَّ ممَّا يساعدنا على قراءة القرآن بـ (تدبّر) و(تفكير) أمور منها:

- قراءة ما تيسّر منه، أي الممكн الذي تسمح به ظروفنا وأوقاتنا، وذلك هو قوله تعالى: ﴿فَا قرأوا مَا تيسّرٌ من القرآن﴾ (المزمل/ 20). أي ليس هناك تحديد إلزامي بعدد الآيات التي يُستحسن أن نقرأها، فالمجال متترك لنا في قراءة القدر المستطاع منه.

فالملهم ليس كثرة القراءة وإنّما نوع القراءة، وهذا ينسجم مع التدبّر والتفكير في القرآن.

- القراءة على مهل، وهو قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنٌ فِرْقَنٌاه لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّسَاسِ عَلَى مَكْثٍ﴾ (الإسراء/ 106). حتى يتعلّم المسلمون القرآن شيئاً فشيئاً، ولذلك ورد في السيرة أنَّ النبيَّ (ص) كان يعلّم المسلمين عشر آيات حتّى إذا تعلّمها على ملهم العشرة الأخرى، والتعليم لم يكن بحفظ الكلمات ومعرفة المعاني، وإنّما بالعمل بها أيضاً.

3- الإستعاذه قبل القراءة: وهو قوله تعالى: ﴿إِذَا قرأتَ القرآن فاستعدْ بِهِ مِن الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (النحل/ 98).

فمن شأن الشيطان أن يصرفنا عن كل عمل خيرٍ وصالح نريد أن نتقرّب به إلى الله سبحانه وتعالى، وذلك قوله بلسانه: ﴿لَا يَعْدُنَّ لَهُمْ صِرَاطُكُمُ الْمُسْتَقِيمُ﴾ (الأعراف/ 16). فحتّى ندخل عالم القرآن الكريم بلا حجاب حاجز، علينا أن نستعيذ به من الشيطان الرحيم.

فإنَّ خيراً حافظاً، وهو خير محام ودافع للشيطان عندها، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّسَاسِ مَلِكِ النَّسَاسِ إِلَهِ النَّسَاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ الّذِي يosoس في صدور الناس من الجنّة والنّاس (الناس/ 1-6). وذلك لئلا تقرأ الحروف ولا تتدبر المعاني فتنتهي من السورة ولم يعلق في وجданك منها شيء، وبهذا يصدق على القراءة من هذا النوع أنّها قراءة هذر، أي لا فائدة فيها.

4- الاستماع والإنصات: وذلك هو قوله تعالى: ﴿إِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوهُ لَهُ وَأَنْتُمْ كُمْ تَرْحَمُونَ﴾ (الأعراف/ 204).

فمستمع القرآن قد يتلقّى القرآن في لحظات الصفاء والإصلاح بغير ما يتلقّاه وهو ساه. فربَّ آيات قرأتها مراراً لكنَّها لم تترك في نفوسنا الأثر المطلوب، كما يتركه ترتيل شجيٍّ حزين، يحدد الآيات تجسيداً، فكأنَّنا نرى المشاهد المخيفة والساڑة بأمٍّ أعيننا، كما في مشاهد القيامة والجنّة والنّار، أو يحدّب إلينا أعمال البر والإحسان ويبيغُّ إلينا أعمال الشر والشرك والإثم والعدوان.

ولقد استمع جماعة من الجن إلى القرآن.. فاتّبعوه.

واستمع إليه جماعة من مشركي قريش.. فاتّبعوه.

واستمع إليه جماعة من غير المسلمين.. فاتّبعوه.

وما يدريك ربَّ آية غيرت مجرى حياة.

5- اعتماد الترتيل: كطريقة في تحسين الصوت بقراءة القرآن ليبلغ أثره في النفوس، وذلك قوله تعالى: ﴿وَرَتَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمل/ 4)[1]، والترتيل له إيقاع أجمل من التلاوة، ولذلك قال النبيَّ (ص): «لكلَّ شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن».

6- الرجوع إلى أهل الذكر: وهم أهل العلم بالقرآن، بأن نرجع إليهم في معرفة معاني الآيات

ومدليلها، وذلك قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل/ 43)، وقوله: ﴿لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهِ إِلَّا أَنْ أَخْسُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (آل عمران/ 7)!

.....

[1]- في اللغة العربية تسمى كلمة (ترتيل) مفعولاً مطلقاً، ويستخدم عادة لتبيان الكيفية، فلو سألت شخصاً : كيف أشرب الماء؟ فإنه يقول لك: إرشفه رشفاً . وكذلك لو سأله: كيف أقرأ القرآن؟ فالجواب: رتلـه ترتيلـ.